هجماتها. كما سيكون مثلُ هذا الإجراء وصمةً مشينةً تَلْحق بالنظام السياسيّ والقضائيّ في مصر.

أما في ما يتعلّق بنا، أنا ونوال السعداوي، فرغم المخاطر التي نواجِهها، فلن ينجح أحدٌ في إرهابنا. سنبقى في مصر، ولن نغادرها. إنّها بلدنا. وُلِدْنا، وترعرنا فيها، ونَهَلْنا من تاريخها ومن إبداعها. أعطتْ لنا قليلاً من السعادة، وكثيرًا من الحزن. لكنّنا اخترنا هذا الطريق ورضينا به. سنحافظ على علاقتنا وعلى أُسْرتنا. لن نَتْرك للفساد الذي استشرى في مجتمعنا فرصةً للنفاذ إلينا. لن نَفْترقْ أبدًا: هذا ما قررناه معًا، نوال السعداوي وأنا، ولا توجد قوّةٌ تستطيع أن تغيِّر قرارنا.

القاهرة

لن نسمح لهم بتحقيق هدفهم

د. فريدة النقاش*

اشتدّت الحملة على الكاتبة الطبيبة نوال السعداوي. ومؤخّرًا أشاع خصُومها أنّ النائب العام قد وقّع قرارًا بإحالتها على المحاكمة، مطالبًا بالتفريق بينها وبين زوجها الكاتب شريف حتاتة، وذلك بناء على دعوى حسْبة طلب رفعَها محامٍ من الساعين إلى الشهرة يتّهمها بازدراء الدين. وقد نَفَتِ الكاتبةُ تمامًا أن تكون قد صرّحتْ بشيء كهذا.

وعلى ما يبدو، فإنّ بعض الجماعات المتاجرة بالدين وجدتْ نفسَها فجأةً وقد دَفَعتْ بها إلى الظل حركةٌ ثقافيّةٌ جديّةٌ ومستنيرة بقوّتها وحضورها. فشاءتْ هذه الجماعات أن تعود إلى الأضواء بفضيحة جديدة، وذلك بعد الفضائح المتتالية: مِنْ قتل فرج فودة، إلى محاولة قتل نجيب محفوظ، وصولاً إلى طرد نصر حامد أبو زيد من البلاد، وتهديدِ أساتذة الجامعات الذين يختارون نصوصًا من عيون الأدب العربيّ والعالميّ الحديث ليقرأها طلاّبُهم، والتحريضِ على «تطهير» المكتبات الجامعيّة والعامّة من بعض هذه الكتب. وقد اختار المهووسون هذه المرّة نوال السعداوي لتوجيه ضربتهم إلى واحدة من أجرإ الأصوات في الساحة الوطنيّة والقوميّة والعالميّة، دفاعًا عن حقوق المرأة وإنسانيّتها من موقعها كطبيبة وباحثة معًا. وقد دخلتْ كتاباتُها في الكلاسيكيّات العربيّة الحديثة التي جرتْ ترجمتُها إلى عدّة لغات، وكانت في مناسبات كثيرة من أفضل الكتب مبيعًا.

وقد استطاعَتْ نوال السعداوي بشجاعتها الفكريّة والعلميّة أن تعالج تلك المناطق الحسّاسة من التجربة الإنسانيّة، وعلاقة الرجل والمرأة التي تواطأ المجتمعُ على إغماض عينَيْه عنها وتجاهُلِ رؤيتها أو الاقتراب منها بالدراسة والفحص.

وعلى حدّ قول الدكتور شريف حتاتة، فإنّ نوال لم تخش أبدًا الخوضَ في حروب ضدّ المشاكل الاجتماعيّة الراسخة جدًا في ما يخصّ الأسرةَ وعلاقةَ الرجل بالمرأة وعلاقةَ الجنس بالمجتمع. وكانت

دائمًا مدركة أنّ أفكارها ستُفزع الناس؛ فمن الطبيعيّ أن يَنْفر الناسُ من الجديد، لأنّ التعايش مع القديم أسهلُ وأكثرُ استقرارًا.

ولعلّ الفيلم الجميل «أسرار البنات،» الذي كتبتْه عزة شلبي وأخرجه مجدي أحمد علي وشاهدتْه مصرُ مؤخّرًا، أن يكون استجابةً غيرَ مباشرة للمطلب الأساسيّ لنوال السعداوي، والذي طالما دافعتْ عنه على امتداد ثلاثين عامًا، داعيةً إلى رؤية المشكلات على حقيقتها دون تزييف أو خداع للنفس أو دفن الرؤوس في الرمال، مؤكّدةً مسؤوليّةَ المجتمع كلّه من الأسرة إلى المدرسة والمؤسّسات التثقيفيّة والإعلاميّة المدعوّة جميعًا إلى تجديد نفسها حتى تكون قادرةً على مدّ يد العون للشباب والفتيات، وللرجال والنساء، لمساعدتهم على احترام أجسادهم. وأكّدتْ أيضًا أنّ اختلاف الوظائف لا يَجْعل الرجلَ أفضلَ من المرأة أو العكس، ودعت دعوةً حارّة إلى التوقُّف عن تشويه الجسد الإنسانيّ بالختان أو احتقار وظائفه باعتبارها صنوًا للخطيئة والدنس؛ وهي المفاهيم الراسخة والشائعة في ثقافتنا عن جسد المرأة على نحو خاصّ.

وحتى لو كانت نوال السعداوي قد عبّرتْ في أحاديثها عن آراء وأفكار يرى البعض أنّها خاطئة، فإنّ الردّ الحضاريّ عليها الذي يَسْتهدف حقًا تطويرَ الحوار الفكريّ في الساحة الوطنيّة والقوميّة ابتغاءَ استخلاص الجديد ورعايته، إنّما يكون بمجادلتها بالتي هي أحسن، لا «بالإبلاغ» عنها واستنفارِ الهوس المكبوت؛ وهو ما سبق أن جرّبَتْه هذه الجماعاتُ فقام مجرمون ـ ضحايا بقتل فرج فودة ومحاولة قتل نجيب محفوظ. وهي طريقة يَلْجأ إليها العاجزون عن الحوار لإرهاب المثقفين الأحرار وإسكاتهم. ولا يجوز أن نَسْمح لهم بتحقيق هدفهم.

القاهرة

---

* ـ كاتبة مصريّة تقدُّميّة.